تحولات المكان عند إنعام كجه جي في رواية طشاري أنموذجاً

م.د عيشة ابراهيم محمد

الجامعة التقنية الشمالية/الكلية التقنية الهندسية في الموصل

قسم هندسة تقنيات الحاسوب

aysha.ibrahim@ntu.edu.iq

مدخل.

إنعام كجه جي روائية وإعلامية وكاتبة عراقية تقيم في فرنسا، تمارس الصحافة والترجمة. غادرت إنعام كجه جي العراق، لكن ظل العراق صورة مرسومة تتحول أمكنته في داخلها لتجسد الاغتراب والضياع والعذاب على الرغم من ذلك تجد العراق حاضرا مهما بعدت لا تلغي ما تأصل في جسدها بدمه العراقي، وهذا ما تم تجسيده بروايتها (طشاري) الصادرة عن دار الجديد في بيروت بواقعية وخيال يمتزجان بالنكهة العراقية وبلغة لا تخلو من اللهجة العراقية المتأصلة في ذاكرتها، فالمكان في رواية طشاري بأطره المحيطة وانفعالات شخصياته، عنصر سردي يجمع كل أبعاد الرواية، فنلحظ كيف ترى الروائية في روايتها بغداد، مدينة الجمال والحضارة، غطتها الدماء نتيجة فعل البشر لأسباب سياسية واقتصادية فقد أجهضت على أيدي أولادها قبل الغرباء.

قد كان للمكان في رواية طشاري حضور واضح فهو الحيز الذي تتحرك فيه الشخصيات وتتصارع فيها الأحداث؛ وطبيعة التحولات المكانية التي أثرت في تكوين الشخصية، فضلاً عن انتقالات المكان التي أدت الى انتقالات زمنية وما ارتسمته على ردود أفعال الشخصية، وبذلك تمكنت الروائية من الرسم المتميز للمكان والتحول الدلالي على الحالة النفسية لشخصيات روايتها، لنرى بعض الأمكنة والأحداث تقدمها الروائية عبر استرجاع الزمن من خلال الذاكرة لتحيا بداخلها من جديد وليكون هروباً من واقع

رافض ولتجد من خلال تلك الذاكرة الراحة النفسية والأمان المفقود في عالم مليء بالتناقضات لتبعث الحياة في رفات من الصعب إحياؤها من جديد ولكن تسعى للجوء إليها عبر الذاكرة من اجل أحياء الحنين إلى الماضي.

Summary

Ena'am Kajagi is an Iraqi novelist, journalist and writer lives in France, practicing press and translation. She left Iraq yet, its image stayed drawn shifting inside herself to embody alienation, loss and torment. In spite of that, she find Iraq present whatever the distance be far and she do not cancel in her body what is rooted of Iraqi blood. That what was embodied in her novel (Tashara) which was issued recently from Dar Al-Jadded in Beirut in realistic and imagination mixed with Iraqi flavor with language does not abandon Iraqi dialect which is rooted in her memory. Place in (Tashara) with its frames and characters' emotions is a narrative element combines all dimensions of the novel. We notice how the novelist see Baghdad in her novel as a city of beauty and civilization covered by blood as a result of human act for political and economic reasons; it was aborted by its sons before the foreigners.

توطئة

يعد المكان عند الروائية كجه جي مسرحاً للأحداث تتجلى من خلاله المشاعر وتتصارع فيه الرؤى والأحاسيس لتملأ أعماق الشخصية حباً وألما وشوقاً لتجسده الروائية بقلمها أحرفاً تقطر حزناً وأسى فالمكان بتحولاته يشكل علاقة جدلية بين الروائية والشخصية الرئيسة كون المكان لا يفهم من خلال وصفه المادي بل من خلال العلاقة الحميمة التي تشعر بها الروائية في علاقتها بالمكان الذي أبعدتها الظروف عنه لتكون الشخصية الرئيسة مرآة لمشاعر الروائية المغتربة عن مكانها.

إن التحولات المكانية عند كجه جي بين ماضٍ وحاضر لها ملامح الواقع الجغرافي فتجسده الشخصية الرئيسة بمراحل

حياتها التي عاشتها فهي ترتحل من مكان إلى أخر عبر الفضاء الروائي بسبب عملها أو بسبب الحروب لتتمكن من الانفتاح وفهم الأخر وعدم الانغلاق بفكر ومعتقد واحد. فالأمكنة بتحولاتها تقسّم النص السردي على مستويين سطحي وعميق بحسب ما تشعر به الشخصيات من خلال تداخل الأحداث داخل العمل الروائي؛ فالمكان في رواية طشاري ليس سلبيا ولا صامتا، ولكنه يحمل دلالة معنوية مثلت الشخصيات داخل الرواية خير تمثيل فالشخصيات تتعامل مع المكان بإدراكها الخاص وبإحساسها وبرؤيتها لطبيعة البشر [١] ، لذا فهو يفصح عن وجوده من خلال التفاعل الحي مع كل العناصر الروائية وأخص بالذكر الشخصية الروائية التي تعطي بعداً جمالياً بعيداً عن الواقع الجغرافي فهي عملية انزياح من الواقع الى عالم الخيال بحسب وجهة نظر الشخصية ، فجاستون باشلار يوضح تلك العملية فيقول "إن المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكاناً لا مبالياً ذا أبعاد هندسية وحسب ، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط الساكنين فيه وطبيعة المجتمع والعلاقات الاجتماعية الكائنة، وأيضاً العلامات المعمارية فيه فيصبح المكان هو الفضاء الذي تدور فيه الأحداث والشخوص.

- **المكان والشخصية**

يعد المكان في النص الروائي بنية نصية معرفية ينهض مع بقية عناصر الرواية من أفكار وأحداث وشخصيات وحوار وغيرها من العناصر فهو "ليس عنصراً زائداً في الرواية، فهو يتخذ أشكالاً ويتضمن معانى عديدة، بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله" بل بكل ما في الخيال من تمييز فإننا ننجذب نحوه لأنه يكثّف الوجود في حدود تتسم بالجماعة كما في الصور، لا تكون العلاقات المتبادلة بين الخارج والأنثى المتوازية ."[٢] أما ياسين النصير فالمكان عنده في الرواية "يشكل الارضية التي تشد جزئيات العمل كله. فهو إن وضّح وَضُحَ الزمن الروائي.. وإن درس بعناية، فهمت الشخصية، وإن تناوله الروائي بصدق تاريخي وصدق فني، مكّن عمله من أن يمتد للتاريخ. وإن فهم فهماً جاداً بعلائقه

الأخرى، استنطق الكاتب أسلوباً وعكس ذلك لن يصبح المكان بين يدي كاتب قليل التجربة ضعيف المخيلة، فاقد الإحساس بالأشياء، جيد."[٣] كما يرى المكان من الناحية الاجتماعية " الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، ولذا فشأنه شأن أي نتاج اجتماعي آخر يحمل جزءاً من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنيه"[٤] ولذا فالمكان الروائي يكتسب بعداً ثقافيا ونفسياً واجتماعياً بينه وبين الشخصية الروائية لتتشكل العلاقة الجدلية التي تربط المكان بالإنسان لتتولد علاقة تأثر وتأثير كل منهما بالآخر. فالمكان يشتمل على "البيئة بأرضها، وناسها، وأحلامها، وهمومها، وتطلعاتها، وتقاليدها، وقيمها."[٥] فتكونت نتيجة ذلك حركة تفاعل وانسجام وترابط مع وعي الشخصية داخل العمل الروائي.

إن المكان في رواية طشاري بكل تحولاته الجغرافية محوراً انفعالياً ممتزجاً بالحالة الفكرية والثقافية والنفسية وعلاقاتها الاجتماعية مع الشخصيات. فنرى الشخصية الرئيسة (وردية) تقدم قصر الأليزيه في فرنسا بعد أن اجبرتها الظروف على مغادرة بلدها العراق وهي في الثمانين من عمرها حين تصل باريس لاجئة وهي في أواخر عمرها بعد أن أفنت زهرة شبابها وكهولتها في العراق، وهي التي لم تفكر يوماً بالهجرة لكن الظروف وفوضى البلاد وفقدان الأمن كان سبباً لتلك الهجرة، وها هي ترى قصر الأليزيه برؤيتها وبحسب الطريقة التي أشار إليها ديفيد داتشز عند تقديم المونتاج في القصص، تلك " التي يمكن للشخص فيها أن يظل ثابتاً في المكان على حين يتحرك وعيه فى الزمان، ونتيجة ذلك هي المونتاج الزمنى، أي وضع صور أو أفكار من زمن معين على صور أو أفكار من زمن آخر....،"[٦] وعلى الرغم من وجود (وردية) في فرنسا لكن ترتسم في ذاكرتها الاماكن والطرق في بغداد، "**هذا هو الأليزيه إذن. رأت قصراً رمادياً قديماً يقع في شارع متوسط يزدحم بالسيارات والمشاة، لا عساكر ببنادق رشاشة وشوارب كثّة ونظرات تقدح شررّاَ. لا أحد يردع المارّة ويهشّهم إلى الرصيف المقابل – إلى عدة شوارع بعيدة عن المكان، لا**

مناطق حمراء وخضراء وبرتقاليّة. إنّ أمامها الكثير لكي تندهش وتتعجب قبل أن تتعوّد. كان المدخل بوّابة خشبية بسيطة مفتوحة على مصراعيها... وبين الجمع شرطيّان أو ثلاثة تكاد العين ألا تميّزهم عن غيرهم. لا هيبة لهذا المكان سوى هيبة التاريخ وقرقعة الأسماء الطنّانة."[٧] فالمكان بحسب ما تراه (وردية) قد خلق علاقة جدلية بين المكان الموجود في ذاكرتها عن شوارع بغداد المكتظة بالعساكر المحملين بالأسلحة كأنها ساحة حرب فضلاً عن المضايقات التي يتعرض لها المارة في تلك الشوارع، وما يؤكد تلك العلاقة استخدام الراوي لعبارة (لا مناطق حمراء وخضراء وبرتقاليّة) للدلالة على المنطقة الخضراء المحصنة من دخول احد من الأشخاص على عكس مما تراه في قصر الأليزيه في فرنسا، وبذلك تحولت العلاقة مع المكان إلى إشكالية معقدة تميزت بالانفصام والتناقض بين الذاكرة والحاضر بإحساس كلي بالتشتت والضياع فلقد استطاعت الروائية استعادة المكان من خرائطه السياسية–الأيديولوجية ليعطي الصوت الانثوي حقيقة سياسية وثقافية ذات ابعاد مختلفة ليتحول المكان في ذاكرة الشخصية وهي تتأمل قصر الأليزيه الى أمكنة أخرى تضم كل من تحبهم لتتجاوز الحدود الجغرافية برغبة وحنين لملء النقص العاطفي داخلها لابتعاد من تحبهم عنها لكنهم تطشروا مثل طلقة البندقية التي تتوزع في عدة اتجاهات، "**رفعت رأسها تتأمّل الثريّات والنقوش الذهبية والرسوم البديعة التي تطرّز سقف القاعة وتمنّت لو كان زوجها المرحوم جرجيس معها، يُمسك بيدها الباردة ويقارعها كأس الكرستال. لو ركبت هند الطائرة من كندا ورافقتها الى الأليزيه. لو حضر أبنها برّاق من تلك الجزيرة النائية وتأبط ذراعها. لو صعدت ياسمين إلى أعلى برج في دبي ونطّت إليها. لو جاء أهالي الديوانية الذين كانت تعرفهم: مُتصرف اللواء وقائد الفرقة الأولى والعلويّة شذرة والمرضع بستانة وغسّان الفلسطيني والدكتور شكري فرنجيّة والست لوريس والجدّة نانا وأُم يعقوب. لو وقفوا كلّهم معها ظهرّاً وسندّاً.**"[٨] لقد تجاوز المكان بوصفه مكاناً لوقوع الأحداث ليكون

خزينا يحوي الشخصيات المؤثرة على الشخصية الرئيسة (وردية) كما شكلت لفظة (لو) في سياق النص دلالات موحية عديدة وتكرارها داخل النص جعلها في اطار الصورة الفنية لتعطي إحساساً عميقاً عن الوحدة والغربة التي تعيشها فهي ترغب بالسند والعون في ايامها القادمة التي تحمل في طياتها الخوف من المجهول. لنراها تارة أخرى تلجأ للوصف الممزوج بالخيال اللاواقعي "**كأن جزّاراً تناول ساطوره وحكم على أشلائها أن تتفرق في كل تلك الأماكن رمى الكبد إلى الشمال الأمريكي وطوّح بالرئتين صوب الكاريبي وترك الشرايين طافية فوق مياه الخليج. أما القلب، فقد أخذ الجزّار سكّينه الرفيعة الحادّة، تلك المخصصة للعمليات الدقيقة، وحز بها القلب رافعاً إياه، باحتراس، من متكئه بين دجلة والفرات ودحرجه تحت برج إيفل وهو يقهقه زهواً بما اقترفت يداه.** "[٩] كل هذه الأمكنة بتحولاتها الجغرافية اعطت صورة فنية حاملة معها دلالة نفسية لإحساس (وردية) بأن الأهل والأحباب تفرقوا وما عادوا يلتقون إلا في الذكريات مع تحميل لفظة (الجزار) بعداً سياسياً للواقع الذي عاشت فيه وهي المرأة المسيحية في مجتمع مسلم، قد اندست سموم الطائفية فيه، ليعيش ابناء الوطن الخوف والموت على أيدي أُناس مجهولين فكانت لفظة (الجزار) رمزاً للموت الجسدي والنفسي، مما أدى ذلك الى الهجرة والتشتت في بلدان متعددة. لم تقف إنعام كجه جي عند هذا الحد من الأمكنة بل تتحول عبر ذاكرة (وردية) ابنة الموصل التي غادرتها الى بغداد مع عائلتها لتنتقل بعد ذلك نتيجة حصولها على شهادة الطب الى ممارسة مهنتها في الديوانية، فـ (الديوانية) ليست مكاناً جغرافياً فقط بل لها دلالات نفسية وايدلوجية فهي لا تشكل مسرحاً للأحداث بل هي الحدث نفسه، " مدينة هادئة ومتقشفة ومحافظة تشبه شخصيتها. مضت إليها، أول ما مضت، بكثير من التهيّب وكأنها تنهض من مهد ميلادها وتسير إلى نعشها، كل ما عاشته قبل الديوانيّة قشرة بصل، وكل ما ستعيشه فيها سيمدّ جذوراً ويرسخ وينمو ويتفرّع ويخضوضر ويبرعم ويطرح الثمار. "[١٠] فتصبح الديوانيّة نقطة انطلاق لرحلة

حملت بين طياتها احداثا وأمكنة كثيرة تأتي بها كجه جي فلا نلحظ احداثا تتطور لتتولد الحبكة والعقدة الفنية بل تأتي الأحداث على شكل لوحات سردية وحلقات قصيرة لتخلق عملاً فنياً يتم من خلال الانتقاء والانتقال بين الماضي والحاضر وبالعكس عبر ذاكرة الشخصيات الروائية.

عند قرأتنا لرواية طشاري نلحظ ترابط بين المكان والشخصية لـ " يدل على قوة الحضور المكاني في الشخصية وفق مناخه القاسي أو المعتدل وفق أبعادهِ الطبوغرافية المختلفة ويتم ذلك من خلال السرد حيث إن المكان ليس منعزلاً عن باقي عناصر السرد المكونة للعمل الروائي، وإنّما يدخل في علاقات مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد كالشخصيات والأحداث. "[١١] وهذا الترابط نلمسه في المكان الجديد وهو المستشفى الذي تعمل في الطبيبة الشابة (وردية) لتعيش حالة فقر وبؤس فالمستشفى عبارة عن اسطبل من القاذورات، "**لم يكن مستشفى بل إسطبل. الردهات مثل سوق شعبي في كل منها عشرة أسرّة يقيم فيها عشرون مريضاً نصفهم يرقد على الأرض، أما مجاري المياه فمسدودة تعوم فوقها النفايات. ولكي تستحمّ، كان على الطبيبة الوافدة من بغداد أن تصعد فوق كرسيّ حديديّ تضعه تحت الصنبور العالي. إن أرض الحمّام غرقى بمياه المجاري.**"[١٢] **وعلى الرغم من كل ما عاشته وردية فقد تولدت عملية انصهار وحب وألفة مع أهالي الديوانية لقد جاهدت لتحسين واقع المستشفى، أحبت الناس البسطاء وشاركتهم أفراحهم وأحزانهم ،أحبتهم وأحبوها، هي المرأة المسيحية في مجتمع مسلم، لكننا نتحدث عن زمن لم تكن فيه سموم الطائفية قد اندست في نفوس الناس، "تستدل خطواتهم عليها حين يحتاجونها. يذهبون اليها في المستشفى فتعالج نساءهم وأطفالهم ويخرجون ممنونين. تفعل بركة العلوية فعلها وتسري توصياتها، من شفة لأذُن، بين البيوت وفي الأرياف القريبة. وكان لابد من أن يحبها أهل الديوانيّة، مع الوقت، ويثقوا بها ويحترمونها رغم أنّها كانت**

أوّل امرأة تمشي سافرة في الشوارع بدون عباءة. تعمل مع الرجال في المستشفى وتتجوّل في السوق بمعطفها الأخضر كاشفة عن شعرها اللّامع المرفوع في إضامة فوق الرأس. ينهض الباعة احتراماً ويفسح الصبية وأصحاب عربات الحِمل لها الطريق."[١٣] إن هذه المشاهد السردية وضحت العلاقة الحميمة بين وردية والمجتمع الريفي في الديوانية الذي لا ينتمي للمجتمع الذي أتت منه لتتولد علاقة جمالية وجوهرية بين المكان والشخصية، ويفهم القارئ بأن هذا الترابط بينهما قد جعل الشخصية تألف المكان على الرغم من اختلاف الوضع الحضاري والاجتماعي والبيئي الذي نشأت فيه الشخصية الرئيسة.

ولا تقف الروائية عند هذه التحولات المكانية من خلال التأثر والتأثير على شخصيات روايتها بل تتعدى ذلك إلى خلق أبعاد اجتماعية ونفسية مع شخصيات كان لها دور في مسيرة حياتها، لنرى تأثرها فضلاً عن خلق علاقات اجتماعية بشخصية (العلويّة شذرة) المنحدرة من بيت آل الرسول لتتولد علاقة حب وألفة على الرغم من الاختلاف الديني والمكاني من حيث النشأة بينهما لتخلق الروائية من خلال هذه العلاقة بعدا سياسياً وأيديولوجياً للمجتمع العراقي الذي يجمع كل الطوائف والأديان لتعمق روح المواطنة وشيوع التسامح فضلا عن الارتباط العضوي والنفسي مع الآخر "**سرت الكيمياء بينهما وتوقّف المرصاد وهدأت النظرات، نالت الدكتورة الشابّة البركة وتناولت العلويّة من صحن الفاكهة تفاحة قشّرتها، بيدها، وقدمتها إلى ضيفتها. تبسمّت لها وتمنّت لها الرزق والتوفيق.**"[١٤] لقد وجدت في العلوية شذرة ملاذا للإحساس بالطمأنينة في بيئة غريبة عنها لتجسد ابعاد الاغتراب وانعكاساتها النفسية وليتحقق الائتلاف البيئي والتماهي المكاني لان المكان النفسي يهيئ وردية للشعور بالأمن الداخلي الذي تحتاجه في مجتمع قبلي وعشائري ترفض المرأة وهي خارج أسوار البيت والأسرة. كما تقوم الروائية وبأسلوب جمالي لتبتكر لوحة لتشويق القارئ كي تستزيد من تاريخ العراق الزاخر بالعادات والتقاليد الدينية التي تعطي بعداً أيديولوجياً لمجتمع يؤمن

بالتعويذات والأيدي المباركة، "**يدان مباركتان لا تستعصي عليها عقدة. تقرأ الآيات على رؤوس الأطفال وتفك السحر وتخطّ الأحجية التي تحقق المراد. إنّ زيارتها واجبة على كل موظفة جديدة تفد على المنطقة. والذهاب إلى بيتها البعيد يشبه توجّه السفراء الجدد لتقديم أوراق اعتمادهم. سمعت وردية كلّ ذلك وفهمته.**"[١٥] إن اختيار الروائية لشخصية العلويّة شذرة لم يكن اعتباطاً بل كان ذا دلالة مقصودة ومؤثرة لتعكس وقائع اجتماعية وثقافية للفرد العراقي ضمن إطار مجتمعه الذي يؤمن بأخذ البركة من أشخاص يرون فيهم الأمان للسير بنجاح في حياتهم، فكان لا بد من وردية الانصياع لتقاليد المكان الجديد الذي دعتها الظروف للعيش فيه والولوج ضمنه وفهم طبيعته المكانية لكي تستطيع التعايش معه فكان لا بد من الذهاب الى العلوية وتلمس البركة من دعواتها، " **كلّما ضاق صدرها حملت نفسها وتعنّت للذهاب إلى العلويّة شذرة. صارت زيارتها طقسًا ترفيهيًا تختلف عن مخالطتها الرسمّية لزوجات الأطبّاء وكبار الضبّاط والموظّفين. كأنها تسافر إلى كوكب فيه من الروحانيّة قدر ما فيه من طين هذه الأرض. العجينة التي جُبِلَ منها بنو البشر**"[١٦]. إن هذا الاندماج الروحي والنفسي أخذ بعدا ايدلوجياً من خلال تلاحم شخصين على الرغم من الاختلاف الديني والمذهبي والطائفي فيما بينهما لتعطي للقارئ مهما كانت جنسيته بأن هناك انسجاماً روحياً بين ابناء العراق لأنهم خُلِقوا من نفس الطين الذي يعيش على ارضه جميع العراقيين.

إن الأمكنة المتعددة التي تجول في ذاكرة وردية وهي في باريس لا تخلو من أشخاص كان لهم نصيب في حياتها من الاهل والأطباء والأصدقاء وأهالي الديوانية التي عاشت بينهم ثلاثين سنة، " **تتراكم السنوات وتمضغ معها من تختار من الأحبة. لا تعود الذاكرة قادرة على اقتناص صورهم. ووردّية تتسابق مع عمرها لكي تسترجع ما فات. تخاف أن تخونها مدّخراتها. أسماء وروائح ومذاقات وأغاني وقهقهات ونوبات غضب وأوجاع وابتهالات. تتجمع كلها**

في صندوق عقلها الذي ما زال يعي ويُسيطر. "[١٧] فكان لشخصية المرضعة (بستانة) دور فعال ومؤثر في حياتها وحياة أبنتها (هندة)، التي رأت فيها الحب والحنان والأمان فلم تستطع تحمل الابتعاد عنها،"**عادت المرضع الى بيتها، نهائياً، فاضطربت هندة ولم تتقبل غيابها. تدور في الغرفة وتناديها وتبكي حين لا تجدها. ترفض الطعام وتطلب بستانة.**"[١٨] لقد كانت بستانة من المنظور النفسي للطفلة (هندة) تحمل مميزات مرتبطة بميول ودوافع سيكولوجية تحمل الطابع النفسي الفطري" **تشمشم شيلتها السوداء وفساتينها الريفيّة المشجّرة وتمصمص قلادتها ولا تأكل إلا من يدها.** "[١٩] ويمكننا أن نرى شخصية (بستانة) بحسب منظور مورتن برنس، "هي مجموع الاستعدادات أو الميول، والدوافع، والقوى الفطرية الموروثة بالإضافة إلى الصفات والاستعدادات والميول المكتسبة."[٢٠] فمن خلال هذا المنظور نلحظ علاقة تأثر وتأثير كل منهما بالآخر لتكون بستانة بفطرتها ملاذاً وبديلاً عن الأم المنشغلة عن أبنتها. ولا يمكننا في هذه الدراسة حصر وجمع كل الشخصيات الروائية التي كان لها دور في مسيرة حياة (وردية)، فبتعدد الأمكنة وتحولاتها السردية كثرت الشخصيات وتنوعت أبعادها واتجاهاتها.

- **الحدث والشخصية.**

إن الحدث أهم عنصر سردي في بناء الرواية فإن دراسة الحدث وعلاقته بعناصر البناء الأخرى هي الوسيلة الوحيدة للوقوف على أهمية هذا العنصر السردي، فهو يشكل سلسلة متواصلة مع الزمان والمكان والشخصية لتشكل عملا متكاملا مترابط الأطراف، لذا لم تخلُ رواية طشاري من أحداثٍ تاريخية عن العراق، فضلا عن معاناة الطوائف المختلفة من ألم وتشتت وضياع تحمل بين طيات صفحتها قصصاً مؤلمة عن الخطف والقتل والتهديد بدون أي ذنب سوى الاختلاف، فيدور في رأس وردية كل ذلك وهي في باريس، فكان الخوف والقرف ما دفعها لترك الوطن وهو السبب نفسه الذي دفع أبنتها ياسمين للهروب والقبول بزوج عن طريق المراسلة والذي كان نتيجة ورقة التهديد الملقاة في حديقة بيتهم، "**السلام على من اتبع**

الهدى، أما بعد، فعندكم عشر أيام لتنفيذ هذه الفتوى وإعطائنا بنتكم زوجة حلالاً لأمير جماعتنا أو أن نذبحكم كلّكم ونأخذ بيتكم يا كفاّر وإلى جهنم وبأس المصير."[٢١] نلحظ التحول المكاني عبر ذاكرة وردية الى بغداد لتقدم لنا الروائية شخصية أخرى وهي (ياسمين) التي تعرضت الى التهديد وهي ليست حالة فردية في عراق بات كل ما فيه يرزح تحت وطأة الخوف والقلق بسبب الإرهاب والتطرف والصراعات الحزبية فكان البعد والاغتراب هو الحل للبحث عن الأمان. على الرغم من إصرار وردية للبقاء في الوطن إلى أن بلغت الثمانين من عمرها، فهي ترى في بيتها الوطن المحمل بذكريات الزوج والأولاد والأهل، " **في الغرفة الشرقية، قرب النخلة الراسخة بين زيتونتين، تحس بالأمان وبالكثير من الدّعة، وهي لا تخاف من اللصوص، رغم أن العصابات تسرح في طول بغداد وعرضها. باعت السجاد العجمي وملاعق الفضّة وثريّات الكرستال لم يعد لها سوى خاتم زواجها. السمّاعة الطبية وأكوام الأدوية المكدّسة في الجوارير، كُتُب زوجها ومُجلدات مجلاته مصفوفة فوق أرفف المكتبة. تتسلّى بمسح الغبار عنها كلّ يوم.**"[٢٢] نلمس في هذه الصورة السردية البيت بإبعاده الإنسانية المتمثلة بالهدوء والدفء العاطفي، فقد حملت الجدران صورا عن ساكنيه التي لا تستطيع الذاكرة نسيانها، وقد تتحول النظرة الطبيعية للبيت بحسب الحالة النفسية لوردية مما يجعلها "ترى المكان الواحد بأكثر من رؤية تبعاً لتطور المزاج النفسي والمكون الفكري. "[٢٣] لذا استطاعت الروائية كجة جي اعطاء ذلك الاحساس النفسي المتحول في شخصية وردية ورؤيتها لبيتها لتصل إلى حالة من الصراع الداخلي ليصبح وجودها في البيت كابوساً، " **لولا الكوابيس لما أغوتها باريس ولا حواضر العالم كله.**"[٢٤] لتتحول بذلك من الإحساس بالهدوء وراحة البال إلى الإحساس بالقلق وعدم الاستقرار ولترى في باريس المكان البديل للعيش بأمان في اواخر أيامها. لكن عندما يصبح الوطن جحيما يستحيل العيش فيه فليس هناك خيار غير الاغتراب عن الوطن،" **لم يعد لي في ذلك البلد ، ما**

يُبقيني ولا من يمسكني. دفنت الزوج وأقفلت العيادة ورأيت السرسريّة يحتلون الطرقات وصارت أيامي الباقية مثل عدمها."[٢٥] فترحل إلى باريس لتلتقي بابنة اخيها وتتعرف على أبنها اسكندر وتصبح صديقة له، فكل الأحداث التي جمعتهم كان مصدر سعادة لابنة الأخ، " **التواطؤ الجميل بين ولدي الوحيد وعمتي، إنها الأخيرة الباقية من الجيل القديم لنساء العائلة. فيها رائحة بيت جدّي في الموصل. أحبها وأرتاح حين أرى اسكندر يتفاهم معها ويترقّب زيارتها.**"[٢٦] إن المكان في الغربة يتحول إلى مجموعة من الأحاسيس بالألفة والمحبة ليتولد التلاحم العائلي، اسكندر الذي ترعرع بعيدا عن بغداد ولا يعرف اخبار بلده إلا ما تناقلتها الاخبار عنها يقوم بإنشاء مقبرة الكترونية جمعت كل الأحبة والأقارب الذين تفرقت مقابرهم عبر القارات فلم يتمكن محبوهم من زيارتهم، إن المقبرة هي المكان الخيالي والواقعي على شاشة الكومبيوتر، "**– شوفي عمة. مقبرة الكترونية يمكنكِ أن تنامي فيها بجوار من تحبين. رأت شواهد رخامية تتوزع بين أشجار خضراء، صلبانا من رخام وخشب وذهب، أزهاراً نضِرة وكأنّها سُقيت للتو. وضعت السماعتين فسمعت موسيقى ناعمة .....**"[٢٧] في هذه المقبرة صورت الروائية المكان مسرحاً خرافياً متوهجاً بنيران المشاعر الإنسانية فهو مكان متوهج ومحرك للأحداث لتحمل المقبرة ابعاد الانتماء والارتباط العائلي بعد أن تشتت وتبعثر كل ما هو إنساني وبعد أن أصبح الموت والفقد واقع حال، فقد استطاعت الروائية بهذه المقبرة أن تختصر كل الألم والحزن والآهات التي عاشتها شخصيات روايتها طشاري المتشتتين في كل ارجاء العالم لتتمكن المقبرة الافتراضية جمع شمل كل العائلة بعد أن تعذر الواقع من جمعهم.

إن هذه الرحلة بأماكنها المتحولة وأشخاصها وأحداثها داخل المتن السردي لرواية طشاري قد جمعت كل الأحاسيس الإنسانية من ألم وحب وحزن وفرح ....الخ، أي جمعت كل تناقضات الحياة بصور مشهدية وبلغة سردية جميلة مليئة بالصور الإيحائية بكل أبعادها السياسية والاجتماعية والنفسية والايدلوجية

وبعبارات عراقية لا يستطيع معرفتها إلا العراقي الذي يعيش في العراق ولتعطي صوراً حية عن واقع عراقي ملموس.

نتائج البحث.

تعد إنعام كجه جي من الروائيات التي ترسم الواقع بلغة جذابة مع استخدام العامية بذكاء واتسمت روايتها طشاري ببراعة الأسلوب حيث يتلمس القارئ الواقع بحد ذاته.

إن تعدد الأمكنة في الرواية له أبعاد اجتماعية وسياسية وعقائدية. لنرى التحول المكاني في الرواية جسد البعد النفسي للشخصيات وما تعانيه من فرح وألم وغربة وتشتت الأحبة والأهل في أقاليم مختلفة بحثا عن الأمل والأمان المفقود في الوطن. أما الأمكنة في الرواية أمكنة واقعية ومواقع جغرافية واقعية مما أضفى مصداقية على الرواية وكأننا أمام سيرة ذاتية بكل أبعادها الواقعية.

قامت الروائية بسرد أحداث روائية بعدة شخصيات ساهمت في تطوير العمل السردي فقد قدمت احداث وحوارات بعد أن اختارت أسماء شخصياتها بعناية لتطابق صفاتها مع صراعاتها النفسية الذي كانت تعاني منها.

قائمة المصادر.

١- إنعام كجه جي، رواية طشاري، دار الجديد، بيروت، لبنان، ٢٠١٣.

٢ - جاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة :غالب هلسا، ط٣، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧.

٣- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٩٠. ٤- ذكريات مدحت نايف كمنجي، جماليات المكان في الرواية النسوية الأردنية، دار الثقافة، الأردن،٢٠١١.

٥- روبرت همفري، تيار الوعي في الرواية الحديثة، تر.د.محمود الربيعي، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط ثابتة، ١٩٧٠.

٦-عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية، دراسة في الرواية المصرية، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٢.

٧- نادر أحمد عبد الخالق، الشخصية الروائية بين أحمد باكثير ونجيب

الكيلاني- دراسة موضوعية فنية، دار العلم والايمان، ط١، ٢٩٩٩.

٨- ياسين النصير، دراسة في فن الرواية العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠.

٩- ياسين النصير، الرواية والمكان دراسة المكان الروائي ، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٦.

الهوامش

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص٣٣

جاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة :غالب هلسا، ، ص٣١.

.ياسين النصير، دراسة في فن الروايةالعراقية، ص ٦. [٣]

٣ياسين النصير، الرواية والمكان دراسة المكان

[4] الروائي ، ص ٧٠.

عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية، دراسة في الرواية

[5] المصرية، ص ٥٩.

روبرت همفري، تيار الوعي في الرواية الحديثة،

[6] تر.د.محمود الربيعي، ص ٧٥.

[7] رواية طشاري، إنعام كجه جي، ص ١.

[8] رواية طشاري، ص ١٦

[9] نفسه، ص١٧.

[10] رواية طشاري ، ص٣١.

ذكريات محمد كمنجي، جماليات المكان في

[11] الرواية النسوية الأردنية، ص١١٧.

رواية طشاري، ص ٤١.

[12]

[13] نفسه ، ص ٧٦.

[14] رواية طشاري، ص ٦٢.

[15] رواية طشاري، ص ٦١

[16] نفسه، ص٧٢.

[17] رواية طشاري، ص ١١٨.

[18] نفسه، ص ١٤٨.

[19] نفسه ، ص ١٤٨ .

نادر أحمد عبد الخالق، الشخصية الروائية بين

[20] أحمد باكثير ونجيب الكيلاني، ص٤٣.

[21] رواية طشاري، ص ١٢٩.

[22] نفسه، ص ١٥٠

عبد الفتاح عثمان ، دراسة في الرواية المصرية، ،

[23] ص ٨٠.

[24] رواية طشاري، ص ١٤٩.

[25] نفسه ، ص ٣٤.

[26] نفسه، ص ١٥٩.

[27] نفسه، ص ١٠٩